



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

مايو ٢٠٢١ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

الإعتراف

سر التجديد والشفاء

"إذا كان الرجل مريضاً واعترف بمرضه، فإن شفاؤه سيكون سهلاً. إذا اعترف بألمه، فإنه قد اقترب من علاجه"^٤. "إن سر الاعتراف له بركات كثيرة وأهمية كبيرة في بناء الحياة الروحية. كنيسةنا المباركة كانت تؤديها بأمانة منذ العصر الرسولي. (أع ١٩: ١٨) كما أنه مذكور في كتابات الآباء الأوائل مثل ديوناسيوس (تلميذ القديس بولس)، إيرينيئوس، أثناسيوس، باسيليوس والقديس يوحنا ذهبي الفم. "إذا كانت الكنيسة تمارس سر الاعتراف في مراحلها الأولى عندما كان الإيمان "في ذروته وكانت الحياة بسيطة وخالية من جميع المضاعفات، فكم يمكن أن تكون الحاجة إليه في هذا اليوم وهذا العصر حيث الحياة معقدة للغاية!"^٥ لقد منحنا إلهنا الصالح سر الاعتراف المقدس العظيم كنوع مقدس لتجديد المعمودية،

حيث يغسل الشخص روحه، ويصبح أكثر بياضاً من الثلج، ويتحول إلى إنسان جديد في المسيح. "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١: ٩). الاعتراف هو نعمة سماوية، والاعتراف هو بوابة للخلاص ومخزون من الجمال الإلهي والفرح على الرغم من أنه ربما سر الكنيسة الأقل تقييماً من قبل أولئك الذين يشاركون فيه. يُنظر إلى الاعتراف دائماً على أنه التزام، وواجب لا بد من الوفاء به، ومسئولية. إننا نقرب منه بخوف ورعدة وارتعاش. ربما هو واحد من أعظم أسرار حياتنا المسيحية. هناك هذا التردد بيننا عندما نذهب إلى الاعتراف حيث نخاف أن نوضع في موقف يتعين علينا فيه أن نكشف عن أسرار عميقة من قلوبنا، ووراء هذا نكون أكثر خوفاً من الاضطرار إلى مواجهة ما هو موجود حقاً هناك في قلوبنا.

إن العوائق الرئيسية التي تمنعنا من الشروع في الاعتراف هي كبرياؤنا وأنانيتنا. "كيف سأكشف عن ذنوبي؟" يغلظ المرء بالخل. ومع ذلك، يجب أن نشعر بالخل عندما نكون على وشك الوقوع في الخطيئة. في تلك اللحظة، سوف يمنعنا الخجل من السقوط في الخطيئة. وعلى العكس من ذلك، عندما نحتاج إلى المضي قدماً في سر الخلاص العظيم هذا، يجب علينا أن نسرع دون تأخير. إذا تم تشخيصنا بالسرطان وعلمنا أن هناك طبيب أورام بارز في القطب الشمالي، فإننا سنبدل على الفور كل جهد ممكن للحصول على الأموال المطلوبة والذهاب لتلقي العلاج لمرضنا البدني. لن نأخذ في الاعتبار الصعوبات أو المتاعب أو النفقات أو أي شيء آخر. سنترك كل شيء ونهرع. سنتواضع دون تحفظ، طالما أننا أصبحنا على ما يرام. ولكن عندما يكون لدينا سرطان الخطيئة الذي يهددنا بموت الروح، ألا ينبغي لنا أن نتجاهل كل شيء (عملنا، أجرنا، المسافة) ونركض نحو غرفة الاعتراف للركوع، والكشف عن جروحنا، وتلقي الدواء، والتعافي، وبالتالي نهرب من موت النفس المروع؟

^٤ القديس اسحق السرياني - العظات النسكية - عظة ٢.

^٥ الأنبا يوانس - بستان الروح - الجزء الأول.

توجد عقبة أخرى يلقيها الشيطان في طريق الاعتراف، إنه يلقي الناس في اليأس. هؤلاء المسيحيون يعتقدون أنهم آمنون لدرجة أنه من المستحيل أن يُغفر لهم. ومع ذلك، فإن مغفرة خطايانا التي نتلقاها من خلال سر الاعتراف المقدس لا تعتمد على شدتها أو عددها، بل على رحمة الرب، التي هي لا نهائية.

استمع إلى القديس يوحنا ذهبي الفم وهو يقدم محادثة بينه وبين خاطئ: "لقد قضيت حياتي كلها في الخطيئة. هل يا ترى سأخلص إذا ثبت؟" "بالتأكيد"، يجيب القديس. "كيف تعرف هذا؟" يسأل الخاطئ. "من محبة ربك"، يجيب القديس، ويستطرد قائلاً: "إذا كنا نتحدث عن التوبة فعندئذ فقط يجب أن تخاف بحق. ومع ذلك، بما أن التوبة مختلطة مع عبارة الله محبة، تحلى بالشجاعة لأنه لا يوجد حد لمحبة الله... شرك له حدود، لكن الدواء ليس له حدود... فكر في شرارة تسقط في المحيط. هل هناك أي فرصة لبقائها هناك أو ملاحظتها؟ ومثلما تكون الشرارة في المحيط، كذلك شرك بالمقارنة مع لطف الله المحب^٦. ألا يجب أن نتشجع في الاعتراف بخطايانا وألا نقع في اليأس؟ القديس يوحنا يستطرد قائلاً: لا ينبغي أن ييأس أي أحد من خلاصه... هل أنت عشار؟ من الممكن أن تصبح مبشر. هل أنت مجدف؟ من الممكن أن تصير رسولاً. هل أنت لص؟ من الممكن أن تسرق الفردوس... لا توجد خطيئة لا يمكن محوها بالتوبة والاعتراف. لديك طبيب متفوق على المرض... لديك طبيب قادر ويريد علاجك. إنه هذا الطبيب، المسيح المخلص، الذي نلجأ إليه، والذي نطلب منه شفاء نفوسنا.

عندما يهزم اليأس، فإن الشيطان يستخدم سلاحاً أقوى وهو الشعور بالخزي. "كيف يمكنني أن أذهب إلى أب روحي وأعترف بكل تلك الخطايا الرهيبة التي ارتكبتها؟... ماذا سيظن في؟" ينبغي على أولئك الذين يفكرون بهذه الطريقة أن يستمعوا إلى ذهبي الفم الموقر وهو يقول: "يجب أن تشعر بالخزي عندما تخطيء ليس عندما تتوب... استمع لي بعناية: الشعور بالخزي يتبع الخطيئة، في حين أن الشجاعة تتبع التوبة... مع العلم أن الخطيئة تحمل الخزي معها، والذي إلى حد كبير يمكن أن يثني الإنسان عن الخطيئة، في حين أن التوبة لديها الشجاعة، وهو شيء قادر على جذب التائب. لقد عكس الشيطان هذا النظام وأرفق الخزي بالتوبة والشجاعة بالخطيئة.

إذا تغلب الإنسان على هذه الصعوبات وقرر الاعتراف، فإن الشيطان سيقدم اقتراح التأجيل، ولهذا السبب يقول لنا الرسول بولس "اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم". يقول الكثيرون: "سوف أذهب للاعتراف ولكن مازال لدي فسحة من الوقت". ينسى أولئك الناس أنه لا يوجد لدينا سوى اليوم. الغد هو ملك لله. يحثنا العدو على ارتكاب الخطية اليوم وأن نجاهد من أجل الفضيلة في الغد. إنه لا ينصحنا بشكل واضح بالابتعاد عن الله ولكنه "يسرق اليوم منا ويترك آمالنا في الغد. وبعد ذلك عندما يأتي اليوم التالي، فإن الشيطان يظهر من جديد ليطالب باليوم لنفسه تاركاً الغد لله. وهكذا، إلى ما لا نهاية، يستخدم طعم اللذة لتأمين الحاضر وترك آمالنا للغد، دون أن ندرك أنه يأخذ من الحياة التي يبعدها عنها هي الاعتراف المقدس، الذي يقيمنا من موت الخطيئة.

من بين العقبات التي يضعها الشيطان في طريقنا لمنع رحلتنا للعودة هي بعض الحجج التي تبدو منطقية. دعونا ننظر في اثنتين منهم:

١. تتعلق العقبة الأولى بشخص الأب الروحي. يقول الكثيرون: "لماذا يجب أن أذهب إلى كاهن وأخبره بخطاياي؟ كيف يمكنني أن أثق برجل أتم مثلي؟ فلأعترف بخطاياي لأيقونة والله سوف يسمعها". الناس الذين يختلفون مثل هذه الأعذار من أجل تجنب الاعتراف المقدس بحاجة إلى تذكر الغرض من السر وهو الحصول على الجل وشفاء النفس. من الواضح أن غفران الخطايا لا يمكن أن تمنحه أيقونة، ولكن من قِبل كاهن، الذي يمتلك نعمة الكهنوت، مع صلاة الغفران. شفاء النفس يتطلب نعمة الروح القدس (التي يقدمها لنا السر) والإرشاد

^٦ عن التوبة

المستنير للأب الروحي. هل نسينا ما حدث عندما أضاء الرب بنوره من السماء وتحدث مع شاول الطرسوسي بالقرب من دمشق؟ على الرغم من أن الله القدير كان بإمكانه أن يسمع شخصياً اعتراف شاول في تلك اللحظة أو حتى يغفر كل تجاوزاته السابقة بنطق فمه النقي، كما فعل اللص على الصليب، إلا أنه لم يفعل ذلك. بدلاً من ذلك، قال الله لشاول انهض واذهب إلى المدينة حيث ستلتقي في نهاية المطاف بحنانيا، تلميذ الرب. ومن هناك، تولى حنانيا زمام الأمور وخدم بولس كما أمره الرب. وأمر المسيح تلاميذه بإقامة الاعتراف المقدس قائلاً: "اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠: ٢٢-٢٣). من خلال هذه الكلمات، الرسل القديسين، والكهنة من خلال التسليم الرسولي، "تلقوا السلطان الذي لم يمنحه الله حتى للملائكة". لقد فعل المسيح ذلك حتى يتمكن جميع الخطاة من العثور على التعاطف والفهم في جهادهم، لأن الكاهن، كإنسان، يفهم صعوبات الحرب الروحية. ومع ذلك، يجب ألا ننسى أنه "مهما كانت الأعمال التي يقوم بها الكهنة على الأرض، فإن الله يؤكد في السماء". هناك بعض المسيحيين الذين يعتقدون أن صحة السر تعتمد على فضيلة الأب الروحي. ومع ذلك، فإن المسيح هو الذي نلتقي به في شخص الأب الروحي عندما نذهب للاعتراف. لدينا اليقين بأننا نعتزف بخطايانا للمسيح طالما أنه هو الذي يعمل من خلال الأب الروحي. وفيما يتعلق بذلك، يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "كل شيء يعمل وفقاً لإيمانك. إذا لم تؤمن، فإن الكاهن البار لن يفيدك، ولن يؤديك كاهن غير بار في أي شيء إذا كنت مؤمناً.... تلك العطايا التي يمنحها الله ليست من هذا النوع - فهي ليست من ذلك النوع الذي يتأثر بفضيلة الكاهن. كل شيء بسبب نعمة الله". وكما يقول أحد الآباء "لا تقضوا على قضاتكم، أنتم الذين تحتاجون إلى الشفاء".

٢. وثمة عذر شائع آخر هو التكرار المستمر للخطيئة. يقول بعض الناس: "بما أنني سأذنب بالتأكيد مرة أخرى، فلماذا أعتزف؟ لقد حاولت عدة مرات، ولكن لم أتمكن من التغلب على الهوى الذي يقهرني. أليس الأمر كما لو أنني أخدع الله عندما أعتزف؟" لأولئك الذين يفكرون بهذه الطريقة، ينبغي أن نقول: إذا كان لديك مرض عضال وكنت تعاني من ألم شديد، ألن تتناول نوعاً من الدواء؟ إذا كنت تنتظر لتشعر بالتحسن قبل تناول الدواء، فإنك سوف تعاني أكثر. إن أمراض النفس قابلة للشفاء، والاعتراف هو الدواء الفعال. وحتى لو لم يعالج البلاء المزمن على الفور، فإنه يساعد كثيراً في علاجه لأنه يقوينا بنعمة الروح القدس، ويصبح الجهاد ضد الأهواء أسهل. لقد قيل عن القديس موسى أنه ذهب إلى أبيه الروحي في ليلة واحدة إحدى عشرة مرة كاشفاً عن أفكاره التي كانت تحاربه. إذا كنا محاصرين من قبل بعض الخطايا التي أصبحت عادة، ثم على وجه التحديد لهذا السبب يجب أن نذهب إلى أبينا الروحي في كثير من الأحيان، لأنه سوف يستخدم سيف الروح (أف ٦: ١٧) لكي يقطع جذر الخطيئة حتى تُجثت بالتمام. إن عذر "لن أعتزف لأنني سأخطيء مرة أخرى" يبدو وكأنه تصريح غير عقلاني يشبه "لن أستحم لأنني سأتنسخ مرة أخرى". ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالقذارة الجسدية نحن لا نقول مثل هذه الأشياء، لماذا تبقى إذاً غير مبالٍ بقذارة النفس؟ استمع إلى القديس يوحنا الدرجي يقول: "إنها صفة الملائكة ألا تقع في الخطيئة... وصفة الإنسان السقوط، ولكن أيضاً أن تنهض مرة أخرى بعد السقوط". بالنسبة للإنسان، ينطبق السقوط والنهوض. وهذا يعني أن "الإنسان يجب أن يتجنب الخطيئة بكل قوته، ويحمي نفسه من الوقوع فيها. ومع ذلك، إذا كان يقع بسبب الضعف البشري، ينبغي عليه ألا ييأس، ولكن أن ينهض على الفور وأن يعترف ويتوب دون إضاعة أي وقت".

إننا نقول بلغة الكنيسة أنه عندما يعرف أحدهم أن يكشف ذاته لله من خلال أب الاعتراف فإنه يستطيع تجنب العديد من أمراض النفس. توجد طريقة فعالة للتخلص من الأفكار وهي الاعتراف بها لأبينا الروحي. يقول القديس يوحنا كاسيان: "تماماً مثل ثعبان يتم إحضاره من جحره المظلم إلى النور فيبذل كل جهد

ممكن للهروب وإخفاء نفسه، هكذا فإن الأفكار الخبيثة التي يبرزها شخص ما إلى العلن باعتراف صادق تسعى إلى الهروب منه". لا شيء يؤدي راهباً ويجلب البهجة للشياطين مثل إخفاء أفكاره عن أبيه الروحي. وبهذه الطريقة تصير حياته الروحية كلها ملتوية ويصبح العوبة في أيدي الشيطان الذي يمكن أن يفعل ما يحلو له معه. ولذلك يعلم القديس يوحنا كاسيان أن لا شيء يؤدي بالتأكيد إلى الخلاص مثل الاعتراف بأفكارنا الخفية، فالذي يخفي أفكاره يبقى بلا شفاء. "من يكتف خطاياهم لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم" (أم ٢٨: ١٣). لذلك ينبغي علينا أن نعترف بالفكر الدائم وأن نأتي بيه لأبينا الروحي المسئول عن خلاصنا. "اكتشف لأبيك الروحي أي فكر يتلذذ داخلك ويجرك إلى الحرب وهو سوف يقدم لك الشفاء بمعونة الله". يستخدم الله الكاهن لإعطاء الغفران لخليقته. يقول الجل (عند الروم الأرثوذكس) بشكل صريح: "الله يغفر لك - من خلالي أنا الخاطيء - كل شيء، في كل من الزمن الحاضر والمستقبل، وليجعلك بلا لوم أمام كرسي قضائه الرهيب. بعد أن لم يعد هناك أي قلق بشأن الجرائم التي اعترفت بها، امضِ بسلام". سوف تستمر الخطايا غير المعترف بها تنقل الشخص حتى في الحياة الأبدية.

ويمكن قول أشياء كثيرة ومختلفة؛ ولكن في النهاية، هناك شيء واحد مهم وهو خلاصنا، الذي لا ننتبه له. لا يتحقق الخلاص إلا من خلال التوبة الصادقة والاعتراف الخالص. فالتوبة لا تفتح الفردوس السماوي فحسب، بل تفتح أيضا الفردوس الدنيوي، مع عربون الفرح - وإن لم يكتمل بعد - الذي لملكوت السموات الأبدية، وعهد السلام الرائع في الوقت الحاضر. أولئك الذين يمارسون الاعتراف باستمرار هم أناس سعداء حقاً؛ محبوبون للسلام وحاملون له؛ يبشرون بالتوبة، والقيامة، والتغيير، والحرية، والنعمة، ببركة الله في نفوسهم وحياتهم. يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن نعمة الله الوفيرة تحول الذنب إلى حمل". لا يمكن أن تتجاوز أية خطيئة محبة الله. لا يوجد خاطيء واحد لا يمكن أن يصبح قديساً، إذا رغب في ذلك. وقد ثبت ذلك من خلال عدد لا يحصى من الأسماء المسجلة في حياة القديسين. سر الاعتراف هو الحرية الحقيقية في المسيح، دعونا نسرع بحماس كامل وبجدية وبإخلاص وفرح كاملين إلى الاعتراف المتواتر. ولنقل مع داود النبي: "أعترف لك بخطيئتي ولا أكتف إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيئتي" (مز ٣٢: ٥). وعندئذ سوف نسمع بكل تأكيد ذلك الصوت القائل: "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيئته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطيئة ولا في روحه غش" (مز ٣٢: ١-٢).